مسيرات الارتفاع والسقوط

كان الوطن يتمزق بتؤدة ينزف دماء غزيرة فيعلو تارة فوق ذاته نقيا كالالوان رائعا كقافلات الشهداء وتارة يهوى الى البعد الاخر حيث تقطن الهزيمة ويهرب الضعفاء ٠

وكان جميل ملاعب يراقب بتمهل اخر مسيرات الارتفاع والسقوط، يصغي الى حشرجة اولئك الذين اكتنفتهم الارض امواتا في سبيل الحياة واولئك الذين اقتلعوا فذهبوا الى حيث لا يدرون ٠ وكان في ذات الان يحاول ان يقرأ في صمت التأملات مستقبلا لهذه الوجوه يرسمه يوما للوطن الجميل « وللحياة الحرة الجميلة » ٠ كانت وقفته منحازة الى الواقع الذي عبر عن ذاته بلغة النار فعبر عنه هو بلغة الاشكال ، منحازة الى الاتي الذي لا بد له من الاشراق ٠ كان جميل ملاعب يعاني المسألة القومية ويتألم ماضيا وحاضرا ٠ عن هذا الالم المولد التزاما بحجم القضية تنتج المعالجة الفنية التي تخرق المشاهدة الانطباعية في مغامرة تحفها الاشكال والاشياء وتذهب بعيدا بعيدا الى غور المستهدفات حيث تتوخى الوصول ، فيستريح القارىء الى الرواية والشاهد للشهادة حيث تبتدىء المرحلة الاخرى العابرة من المعاينة الى التفسير ، من التأمل الى الاعتبار وتتم المسيرة على اتجاهين : ذلك الذي يقود الى المضمون وذلك الذي يستفاد منه للرفض او القبول ٠

نعم لرسوم جميل ملاعب وظيفة في الشكل ووظيفة في القصد ملازمة لانحيازه الاساسي لقضية عبر عنها رجال هذه الامة بلغتهم وهو احدهم يعبر عنها بلغته ٠

انها بذلك مساهمة في بناء وجهة نظر منطلقة من موقف غير محايد يعتمد على الواقع المرئي وينطلق منه بقفزة جميلة الى الكشف عن قدرات تلك الوجوه القادمة من اللحظة الواقعة ، تلك الوجوه غير المحددة المستعدة دائما ٠ من هنا يبتدىء الفنان نبتدىء معه

جميعا رحلة الخروج من النزف الكبير لبناء ثقافة قومية مترسخة على اصول المعاناة الحقيقية لكل ابعاد مشكلة الانحدار الذي يسقط فيه الوطن منذ مئات السنين ، ثقافة تترسخ على الجذور وتنمو شجرة عظيمة وارفة الظلال حيث تتفيأ الاجنحة وتحط الرفوف ·

النهضة القومية تعتمد على هذه الانماط من النماذج الثقافية الراقية المستقلة غير الاتباعية وكل موقف ثقافي لا يصب في هذا النهر الكبير المتفجر من ارضنا وتقاليد شعبنا يكون موقفا هامشيا معرضا لسرعة الزوال والاضمحلال · والنهضة القومية تسجل الحدث وتعمل فيه نقدها في ذات الحين وبهذا الاسلوب انها ترقى الى القيمة الاساسية التي تحفزها وتصبو اليها قيمة الجمال الخاضعة الى شريعة العقل العليا والمنطلقة من النفس « الحرة الخيرة الجميلة » ·

هذا المنطلق يحفزنا على الاهتمام برسوم جميل ملاعب لانها تمثل تلك الصبوة الهادفة الى التعبير عن الالم الكبير التي تعاني منه امتنا ولانها نموذج فني يحرضنا على التأمل والاعتبار · قيمة رسومه تكمن في موقعها التحريضي القومي وفي تمثيلها لواقع يريد ان يعلو فوق نفسه باتجاه واقع اخر تحفه الرهبة والاندهاش ترقبه العيون الساهرة على الوطن الجميل ·

مروان فارس

بيروت في 14_3_1977